الاصول الفلســـفية لعلم النفس

أ.د. طه جزاع مزبان م. د. حيدر فاضل حسن
جامعة بغداد / مركز البحوث التربوية والنفسية

ملخص البحث : -

اهتم الفلاسفة منذ بدايات التفكير الفلسفي بموضوعات علم النفس. فقد بحثت الفلسفة اليونانية في القضايا النفسيه كالمعرفه والفكر والاحساس والادراك. وقام (افلاطون) بتصنيف العمليات الذهنية وميز بين الذكاء والانفعلات النبيلة والشهوات. وأما (ارسطو) فيعتقد أن النفس هي ماهية الكائن الحي التي تميزه عن بقية الاشياء. وفي الفلسفة الاوربية قام (ديكارت) بضم حقل البصريات لعلم النفس ويشمل ذلك نظريات حول الادراك البصري، ثم (جون واطسن) العالم السلوكي اعتقد أن تفسير السلوك سيكون مادياً. وايضاً فقد اثرت وجهة النظر التطورية في علم النفس وظهر هذا التأثير في نظام الغرائز في نظرية فرويد. الاسيمولوجيا التكوينية لبياجيه تعتمد على علم نفس الطفل لمعرفة كيفية نمو المفاهيم. علم النفس الماركسي يعد الانسان موجوداً اجتماعياً بشكل اساس، قام الوجوديون باستبدال الحاجات والدوافع بمعنى الوجود والقيم. توصل البحث الحالي الى مجموعة من الاستنتاجات، أهمها أن علم النفس يتكون من العديد من الاصول الفلسفية.

أهمية البحث : -

يُنسب مصطلح (علم النفس) الى المصلح الالماني(فيليب شوارزيرد)(١٤٩٧ – ١٥٦٠). إلا إن المصطلح لم يصبح واسع الانتشار إلا في القرن الثامن عشر. وذلك بفضل الفيلسوف (كرستيان ولف)(١٦٧٩ – ١٧٥٤). الذي وضع عنوانات لاثنين من كتبه (السيكولوجيا الاختيارية ، ١٧٣٢)و(السيكولوجيا العقلانية ، ١٧٣٤). حيث أن علم النفس الناشيء من الفلسفة، عُرَف زمناً طويلاً أنه " علم الحياة الذهنية وظاهراتها وشروطها " (وليم جيمس ، ١٩٨٠) ، وذلك قبل أن يصبح " علم السلوك " . (سيلامي ، ٢٠٠١ ، ١٧٥١)

لقد كانت العلوم الانسانية قديماً من اقسام الفلسفة. حيث أن السياسة والاخلاق (دراسة النفس) هي من مباحث الفلسفة العملية. ثم انفصلت العلوم الطبيعية عن الفلسفة واستقلت بمناهجها الاستقرائية فبدأت العلوم الانسانية تطمح الى الانفصال والاستقلال عن الفلسفة سعياً لتحقيق الدقة في القوانين كما في العلوم الطبيعية. ومن بين العلوم الانسانية التي قطعت شوط المنهج العلمي علمي النفس والاجتماع. حيث أن الفلسفة ومنذ بدايات التفكير الفلسفي أهتموا بمباحث علم النفس وبموضوعاته. فقد فصل افلاطون في محاولاته القول في (النفس) وانتهى الى أنها جوهر روحاني خالص، سابق في وجوده على البدن، وهو منبع المعارف اليقينية.

(الزيادي ، ١٩٨٩ ، ٢٩ – ٣٠)

وذهب ارسطو الى أن النفس توجد مع البدن وبه . وفيما بعد شغلت المباحث النفسية حيزاً واسعاً في مذاهب الفلاسفة . ومع ظهور النزعة الطبيعية بدأ التفكير في نقل المباحث النفسية الى المعرفة العلمية المستندة الى الملاحظة والاختبار . ثم تطورت دراسات المفكرين الى البحث في (سلوك الانسان) كما يظهر في (الظواهر النفسية) بدلاً من دراسة (النفس) كما هي مجردة. حيث قام (ڤونت ١٨٧٥) بفتح أول مختبر يعتمد المقاييس والالات في دراسة الظواهر النفسية والسلوك الانساني . وبهذا استقل علم النفس واصبح علماً ذا كيان في قالب علمي ويتطور بحيث ظهرت المدارس المبكرة في علم النفس واهمها مدرستي السلوكية بزعامة بافلوف و واطسون و ثورندايل . والتحليل النفسي التي اسسها (سيجموند فرويد) .(الزيادي ، ١٩٨٩ ، ٣٠ –٣١)

لقد ظهر الانسان على الارض في صورته الحالية (انسان عارف) منذ حوالي مئة الف عام . ومن المتمل أنه حاول فهم ذاته منذ ذلك الحين . وقد يسمى الفيلسوف اليوناني (ارسطو) (٣٨٤ – ٣٢٢ قبل الميلاد) " أب علم النفس " ، على الرغم من أن التأملات الاولى حول موضوعات علم النفس لم ترتبط به حيث عالجها الفلاسفة الاوائل الذين سبقوه بمئات السنين . حيث بحثت الفلسفة اليونانية في القضايا النفسية كالمعرفة والفكر والاحساس والادراك وغير ذلك من المباحث النفسية . (دافيدوف ، ١٩٨٣ ، ٣٣) (زيعور ، ٢٠٠٦ ، ١٤)

ومن هولاء الفلاسفة الذين بحثوا في القضايا النفسية :

هيراقليطس :

يذهب هذا الفيلسوف الى أن كل قضية في الكون تحمل نقيضها ولا تعرف إلا به . فوضع جدلاً صاعداً وجدلاً نازلاً يكون السبيل الى الادراك الجزئي لظواهر الحياة المتغيرة . وهو يرى أن كل شيء يتحرك ويتغير ، ما عدا الفكر فهو ثابت ، وحقيقي . وهكذا فأن هيرقليطس قد غلب منطق العقل على الحس .

(زيعور ، ٢٠٠٦ ، ١٤) (الزيادي ، ١٩٨٩ ، ١٣٦)

انكساغوراس (٥٠٠ – ٤٢٨ ق.م):

يتحدث هذا الفيلسوف عن العقل فيرى أن جميع الاشاء الاخرى فيها جزء من كل شيء ، أما العقل فهو لا نهائي ، ويحكم نفسه بنفسه ، ولا يمتزج بشيء ، ويوجد وحده قائماً بذاته . والعقل يحكم جميع الكائنات الحية ، ويدرك جميع الاشياء ويضفي النظام على الاشياء .(الزيادي ، ١٩٨٩ ، ١٤٥)

ديمقريطس :

يرى أن هناك عدداً غير متناه من وحدات دقيقة متجانسة غير قابلة للقسمة ، وهي غير محسوسة ، وهي عبارة عن ذرات مادية دقيقة غاية في الدقة وهذه الوحدات في تحركها الابدي تتلاقى وتفترق فتحدث في تلاقيها

الكون وفي افتراقها الفساد . والنفس تتكون بنفس هذه الطريقة، فهي مادية ولكنها جسم ناري وجواهرها ادق الجواهر والنفس مبدأ الحركة في الانسجام وجواهر النفس اوفر عدداً في مراكز الاحساس والفكر . الاحساس عند ديمقريطس مصدر المعرفة الوحيد ، وهذه الاحساسات تحدث في المخ حركة باطنية ينتج عنها الفكر ومن ثمّ المعرفة . أما السعادة ففي نية النفس . وبعدها عن الاوهام والمخاوف .(الزيادي ، ١٩٨٩ ، ١٥٣ – ١٥٤)

والفكر عند ديمقريطس هو احساس ، وهو قابل لأن يتغير لأن الاحساس والفكر هما تغيرات للجسم بحسب نظريته في النفس .(النشار ، بلا ، ٨٢)

أما النفس فأنها سر حياة الانسان ، وهي مادية مؤلفة من ادق الذرات واسرعها حركة ، فذرات النفس لطيفة مستديرة نارية ، وهذه الذرات منتشرة في الهواء تندفع الى الاجسام بالتنفس فتسري في البدن كله ، وتتجدد بالتنفس في كل آن ، وما دام التنفس دامت الحياة .(النشار ، ١٩٦٤ ، ١٨٤ – ١٨٥)

افلاطون (٤٢٧ – ٣٤٧ ق.م) :

ينطلق افلاطون من نظرية (المُثل) القائلة بوجود عالمين مختلفين حيث أن عالم المُثل الثابته هو عالم اسمى من عالم المتغيرات . وعالم المُثل هو عالم موجود فعلاً أما عالم الموجودات الجسمانية فيقع تحت عالم المُثل من الناحيتين الاخلاقية والإنطولوجية فلا وجود للمحسوسات إلا بالمشاركة أو المحاكاة مع عالم المُثل . والفكر يصل الى عالم المُثل بواسطة التذكر . لقد قام افلاطون بتصنيف العمليات الذهنية بحيث ميز بين الذكاء والانفعالات النبيلة كالشجاعة والشفقة والشهوات الدنيا أو السفلية . وقد تناول افلاطون البحث عن النفس من عدة جوانب واعتبارات ، فعلى صعيد ماهية النفس يقول أنها فكر خالص وايضاً يقول أن النفس مبدأ الحياة والحركة للجسم ، وعلى صعيد علاقة النفس بالجسم يعتبرها تارة متمايزه عن الجسم تماماً وتارة يصنع بينهما علاقة وثيقة ويذهب بهذا التفاعل الى حد علاج الجسم بالنفس والنفس بالجسم . وفيما يتعلق بقوى النفس فأن افلاطون يقرر بأن هناك قوى متعددة للنفس وبين أن الغضب متوسط بين الشهوة والعقل بحيث أنه ينحاز مره الى تلك ومره الى هذا ، وأن المحور الذي تدور حوله مجمل فلسفة افلاطون هو النفس الانسانية باعتبارها مقر المُثل ومصدر المعرفة . (زيعور ، ٢٠٠٧ ، ٣٢ (زيعور ، ٢٠٠٦ ، ١٥)(الزيادي ، ١٩٨٩ ، ١٩٧ – ١٩٨) (الاهواني ، ١٩٧١ ، ٨٧)

ارسطو (٣٨٤ – ٣٢٢ ق.م) :

النفس في فلسفة ارسطو هي مبدأ الحياة عامة ، وعلم النفس يبحث في القوى والوظائف الحيوية التي يشترك بها النبات والحيوان والانسان . والنفس تدرك صور الاجسام عن طريق التفاعل بين الحاسة والمحسوس متمثلاً في الحواس الخمسة الظاهرة ، إلا أن للنفس حساً باطناً هو الحس المشترك ، وهو من الحواس الخمسة

بمثابة الرقيب أو الوسيط ، ويختلف عنها في أنه ليس انفعالاًمحضاً ، فهو يمثل المرحلة الاولى من مراحل التجريد الذي يرقى بحسية الانسان خطوة خطوة من صعيد الحس الى صعيد الفكرة . أما المرحلة الثانية فهي الخيال ، وهو وسط بين الحس والنطق أو الفكرة ، فالتخيل عبارة عن تخلف الصورة المحسوسة في النفس ، لأنه يلبث في النفس بعد زوال المحسوس ،ويفترض العقل بدوره الخيال بحيث لا تنفصل الصورة المعقولة عن الصورة المتخيلة . أما كيفية ادراك الصور ، فيصفها ارسطو بأنها شبيهة بارتسام (الاحرف عكس لوحة لم ينقش فيها شيء) فكان العقل قبل فصل الادراك ، خلواً من الصور ، فاذا استكمل ، أصبح ومعقوله شيئاً واحداً . (فخري ، ١٩٧٧ ، ٦١ – ٧٢)

تتضح مما تقدم الجذور الفلسفية العميقة لعلم النفس ، والذي لم يتبلور علماً مستقلاً إلا في القرن التاسع عشر ، حيث كان قبل ذلك جزءاً من الفلسفة . وحتى بعد استقلاله عن الفلسفة فعلم النفس ما زال يتأثر بالفلسفات المختلفة التي ترفده بالاطر الفكرية التي توجه بناء نظرياته وهذه بدورها توجه اجراء البحوث فيه مما يؤكد اهمية العلاقة الحية بين علم النفس والفلسفة والتي استمرت منذ ظهور المباحث النفسية في الفلسفات القديمة وصولاً الى الفلسفة المعاصرة " التي منحت الطب النفسي ما كان يفتقد اليه منذ زمن بعيد من منظور العلوم الانسانية ، فقادت خطاه الى الانسان لا الاعراض المرضية فحسب ، فقامت بينهما علاقة دياليكتيكية هي في النهاية من اجل الانسان . ومن جهة اخرى فأن الفلسفة المعاصرة مدينه للطب النفسي الفنومنولوجي المعاصر من حيث أن الممارسة الطبية اقامت الدليل التجريبي على صدق الكثير من القضايا الفلسفية المعاصرة " .(زيور ، ١٩٨٦ ، ٥٦)

أهداف البحث :

يهدف البحث الحالي الى التعرف على العلاقة بين علم النفس والفلسفة وتوضيح المنطلقات الفكرية لعلم النفس في اطار الفلسفة .

تحديد المصطلحات :

سيتم في هذا القسم تحديد مصطلحي الفلسفة ، وعلم النفس .

اولاً : – الفلسفة :

الفلسفة لفظة يونانية مركبة من جزأين " فيلو " بمعنى " حب " و " سوفيا " بمعنى " حكمة" أي أنها تعني – في الاصل اليوناني – " حب الحكمة " " وليس امتلاكها " . والفيلسوف اليوناني فيثاغورس اول من استخدم لفظة فلسفة وحدد معناها . وتستخدم كلمة فلسفة في العصر الحديث للاشاره الى السعي وراء المعرفة بخصوص مسائل

جوهرية في حياة الانسان ومنها الموت والحياة والواقع والمعاني الحقيقية وتستخدم الكلمة ذاتها ايضاً للاشارة الى ما انتجه كبار الفلاسفة من اعمال .(ويكبيديا – الموسوعة الحرة)

ثانياً : – علم النفس :

أ- علم النفس هو العلم الذي يدرس السلوك والعمليات العقلية (وكلمة علم النفس Psychology مشتقة من كلمات يونانية تعني " دراسة العقل أو الروح ") .(دافيدوف ، ١٩٨٣ ، ٢٤)

ب – علم النفس هو الدراسة العلمية للسلوك وللعوامل المؤثرة فيه .

(Passer, 2001, 4)

الاطار النظري :

يحاول علم النفس أن يكون علماً منذ حوالي مئتي عام . وفي هذا الوقت طور عدد متنوع من التقانات المختبرية ، وجمع الكثير من البيانات التجريبية ، واظهر بعض التطور النظري ، ومر عبر تغيرات في الاراء التي تدور حول موضوعه الرئيس فيما اذا كان دراسة السلوك أم الذهن. ويعتقد البعض أن علم النفس اصبح علماً عن طريق تحرير نفسه من الفلسفة في وقت قريب من نهاية القرن التاسع عشر ، في حين يعتقد اخرون أن هذا لم يتحقق حتى ظهور السلوكية والايجابية Positivism . وبعض المفكرين المحدثين يعتقدون أن علم النفس يمكن أن يبقى علماً فقط عن طريق صيرورته الى شيء اخر : علم الاعصاب ، العلم المعرفي .

(HATFIELD, 2002, 207)

في أثناء الربع الثاني من القرن العشرين ، يرى بعض علماء النفس والفلاسفة أن الجهود الاساسية التي ادت لادخال علم النفس الى المختبر واعتماد تجارب اصيلة على الظواهر العقلية ، لم ينتج عنها علم نفس بالمعنى العلمي الحقيقي ، بسبب استمرار عدوى (العقلية) . حيث أن الحديث عن العقل (Mind) أو التجربة العقلية – من وجهة النظر هذه – هو حديث غير موضوعي ، ذاتي ، وغير علمي . وطبقاً لهذا فأن علم النفس لم يتمكن من أن يصبح علماً إلا بظهور السلوكية، كما اعلنت اولا من قبل (J. B. Watson) (واطسن) تحت تأثير (J. Loeb) وغيره من علماء الفسلجة ، ومن ثم اصبحت علمية بشكل اصيل عندما تبنى (هل) (C. Hull) و (سكنر) (B. F. Skinner) المنهجية العلمية للايجابية المنطقية أو التجريبية المنطقية .

(HATFIELD, 2002, 208)

يمكن القول اجمالاً أن تاريخ علم النفس حسب موضوعاته وطرائقه قد مر بثلاث مراحل :

المرحلة الاولى :- يمكن تسميتها المرحلة الفلسفية أي مرحلة ما قبل علم النفس ، وهذه المرحلة عالج فيها الفكر الفلسفي بعض القضايا النفسية ، وكانت هذه المعالجة جزءاً من الفكر الفلسفي ، واستندت على الفكر الاستنتاجي المرحلة الثانية : - برزت في هذه المرحلة استقلالية علم النفس ، وكان موضوع الدراسة حالات الوعي والطريقة المستعملة كانت الاستبطان .

المرحلة الثالثة : - ابتدأت مع " واطسن " والثورة السلوكية وتحول علم النفس الى علم السلوك، وهذا التحول هيأ علم النفس للدخول الى المرحلة التجريبية .(زيعور ، ٢٠٠٦ ، ٣٠ – ٣١)

لقد مر علم النفس عبر تاريخه بتحولات فكرية كثيرة طبقاً للمنظورات الفلسفية المختلفة والمتباينة في رؤيتها للموضوعات النفسية ذلك ادى لظهور مدارس متعددة في علم النفس تنظر للانسان بطرق مختلفة . وهذا التعدد في المنظورات الفلسفية وما يتبعه من تعدد في المدارس والنظريات النفسية شكل علم النفس وصولاً الى ما هو عليه اليوم .

فيما يأتي بعض الآراء والمنظورات الفلسفية التي شكلت اصولاً مختلفة لعلم النفس عبر تاريخه :

ارسطو :

تعرض ارسطو للنفس وعلاقتها ، ودورها الاساس في ملازمة الكائنات الحية من نبات وحيوان وانسان . يرى ارسطو أن النفس جوهر أي هي صورة جسم طبيعي ذي حياة . ويعتقد أن النفس هي ماهية الكائن الحي فهي تميزه عن بقية الاشياء . والنفس عنده ما به نحيا ونحس ونفكر فهي بهذا نوعاً من المعنى والصورة وأن الكائن الحي مركب من الهيولى والصورة . وبهذا فان النفس هي كمال الجسم . كذلك فأن ارسطو يقول بوجود ثلاثة قوى للنفس هي النفس النباتية (القوة الغاذية) وهي النفس الموجودة في النبات ، والنفس الحيوانية (القوة الحساسة) وهذه موجودة في الحيوانات حيث أن الاحساس هو اساس تكوين الحيوان ، والنفس العاقلة (قوة التفكير) وهذه النفس هي ارقى الكائنات الحية وهي البشرية . فالبشر اضافة لامتلاكهم قدرات النبات والحيوان فهم يمتلكون القدرة على التفكير . وفيما يختص بالانسان فأن له نفس واحده لها قوى ثلاث ، وهي القوة الغذائية والقوة الحساسة والقوة العاقلة . وهذه القوى تشكل كلاً واحداً يمكننا من أن نحس ونفكر وتفعل وتنفعل . (الزيادي ، ١٩٨٩ ، ٢٣٤ – ٢٣٨)

توماس هوبز :

يعد توماس هوبز (١٥٨٨ – ١٦٧٩) اكثر الفلاسفة الانجليز اهمية في الفترة من (بيكون) الى (لوك) . ويعد هوبز اول فيلسوف مادي في العصور الحديثة ، فبالنسبة له اياً كان الموجود فهو مادة ، واياً ما كان يتغير فهو حركة . وبذلك يبدأ من وجهة نظر (كوبر نيكوس) و (هارفي) المؤسسين للعلم الطبيعي الحديث .

وتتمثل المضامين النفسية في اراءه في سيكولوجيا المعرفة والارادة ، حيث يكمن مصدر المعرفة البشرية في الاحساسات فيقول (هوبز) " ليس هناك تصور في ذهن الانسان ، لم يكن فيه مبدئه ، كله او جزء منه ، قد تم الحصول عليه بواسطة اعضاء الحس . وما تبقى من الافكار فهو مشتق من ذلك الاصل " . وعلة اي احساس هي ضغط موضوع خارجي على عضو من اعضاء الحس بصورة مباشرة كما في حالة التذوق واللمس أو بصورة غير مباشرة مثل الرؤية والسمع والشم . ويثير هذا الضغط حركه تصل الى المخ أو القلب بحيث تستجيب هذه الاعضاء للمثيرات لذلك فإن الاحساس هو نتاج المخ لاثارة من خارج الجسم البشري . لقد سبق هوبز بثلاثة قرون تقريباً آراء السلوكيين المعاصرين في علم النفس الذين حاولوا أن يردوا كل العمليات الذهنية الى استجابات لمنبهات . ويرى هوبز أن عمليات الشعور والاراده هي حركات في الجسم ايضاً . وثمة نوعان من الحركة خاصة بالحيوانات والناس وهما : الحركة الحيوية ، والحركة الارادية مثل المشي والكلام . والخيال هو البداية الداخلية لكل حركة ارادية قبل ان تصبح مرئية للملاحظة الخارجية عن طريق الجهد ، وهذا الجهد يكون باتجاه الشيء الذي اثاره ، فيكون شهوة في حالات مثل الجوع والعطش أو رغبة في حالات اخرى .ويسمى الجهد عندما يكون بعيداً عن موضوع ما (النفور) . ويسمى (هوبز) في سيكولوجيا الجهد ، الرغبة الاخيرة أو النفور الاخير في عملية التروي ، تلك العملية التي تسبق مباشرة الفعل العلني ، يسميها (الارادة) .(رايت ، ٢٠١٠ ، ٧٧ – ٨٦)

ديكارت :

في عام (١٦٤٩) نشر ديكارت كتابه (بحث في الشهوات) وقد ميز فيه بين ثلاث فئات من الافكار وهي : الفطرية ، والطارئة الواردة من المعرفة الحسية ، والافكار المفتعلة والتي نبنيها انطلاقاً من الافكار الفطرية . ويعتقد (ديكارت) أن للنفس قدر تأثير على الجسد بفضل الارادة ، وأن وظيفتها الرئيسية تشغيل الذاكرة . وقد جاء (ديكارت) بفكرة ذات طابع علمي متقدم نسبياً ، وهي أن اللذة والالم يرتبطان بحدة الاحساس ، لذلك يرى البعض أن (ديكارت) هيأ الطريق لبروز علم النفس بشكله الموضوعي .(زيعور ، ٢٠٠٦ ، ١٦)

ان لعلم النفس تاريخ طويل في كونه حقل من الفلسفة الطبيعية وقد قام ديكارت وتابعيه (مع توقع سابق من قبل ابن الهيثم) بضم حقل رياضي سابق الى علم النفس : وذلك هو حقل البصريات ، والذي ينظر اليه بوصفه نظرية الرؤية . حقل البصريات ، والذي عمل عليه (بتولمي) في القرن الثاني وطوره ابن الهيثم في القرن الحادي عشر يتضمن نظريات هندسية حول ادراك الحجم والمسافة ، لتفسير ثبات الحجم وادراك المسافة . طور ديكارت هذه النظرية في عمله على (Dioptrics) ، ولكن في الاجزاء السيكولوجية ايضُ لـ (ابحاث عن الانسان). وقد دمج اتباعه هذه النظريات الادراكية في اجزاء من كتبهم المنهجية للفلسفة الطبيعية التي تعالج العقل أو الروح .(HATFIELD, 2002, 211)

وفيما يتعلق بالعلاقة المثيرة للجدل بين (العقلي) و (المادي) ، أو ما يعبر عنها بمشكلة العقل – الجسم . فأنها ترتبط على نحو كبير بديكارت حيث أنه ربط نظرية ميكانيكية شاملة حول الطبيعة مع نظرية ثنائية لطبيعة الكائن البشري . فبالرغم من أن الطبيعة ، بما في ذلك الجسم البشري ، هي مادية فأنها تحت السيطرة التامة للمباديء الاساسية للميكانيكية ، والكائنات الانسانية تمتلك خصوصية في كونهم يمتلكون كل من المكونات المادية وغير المادية أو العقلية، ولذا فهم ليسوا تحت السيطرة تماماً. وبحسب مصطلحات ديكارت فأن الناس اساساً مركب من جوهر عقلي (العقل) وجوهر مادي (الجسم) . وتلك هي (ثنائية) ديكارت القائلة بأن الناس يمتلكون كلاً من العقل والجسم . (WILSON, 1999, XV)

السلوكية :

(جون واطسن) هو العالم السلوكي الاكثر شهرة للسلوكية الراديكالية المبكرة . (واطسن) كان مادياً ، أعتقد أن التفسير النهائي للسلوك سيكون فيزيائياً وكيميائياً . وعلى الرغم من أن علم النفس – حسب وجهة نظره – سيكون علم السلوك النهائي ، ولكن في وقته على علم النفس السلوكي أن يعمل تفسير السلوك عن طريق توضيح العلاقات بين المثيرات – والاستجابات ، باستخدام نظرية الاقتران لـ (بافلوف) وقوانين الاثر لـ (ثورنديك) . مثل هذا النوع من علم النفس يمكن في النهاية أن يوصل بين اجزاء العلم الطبيعي الصحيح ، لأنه سيرفض كل الموروثات غير العلمية (حسب وجهة نظر واطسن) القائمه على افكار عقلية ، سواء كانت اسنباطية أو وصفية للسلوك . المثيرات ، الاستجابات وحالات الجسم التي يمكن قياسها هي ما سوف يبحث باستخدام المفردات (الموضوعية) للاوصاف المادية .ويرى (واطسن) أنه وضع علم النفس اخيراً على الطريق العلمي . وبحسب الرؤى التاريخية فأن هذه المهمة تمت عندما ركز السلوكيون الجدد ، (تولمان ١٩٣٢) ، (هل ١٩٤٣) و (سكنر ١٩٣٨) البؤرة على السلوك ورفضوا العقلية الاستنباطية التي تتميز بالتعقيد المنهجي للتجريبية المنطقية (الڤينيسيه) . وعلى الرغم من بقاء صيغة (واطسن) من السلوكية ميتافيزيقية في ماديتها المباشرة ، إلا أن (تولمان) نقل علم النفس الى مرحلة العلمية النقية عن طريق تبني الفيزيائية المنهجية (المضادة للميتافيزيفية) الخاصة لـ (كارناب ١٩٣٢ – ١٩٥٩) و (هيمپل ١٩٣٥ – ١٩٤٩) . حيث أن (كارناب) و(هيمپل) افترضا ان كل اوصاف السلوك واسبابها يجب ان تكون قابلة للترجمه بلغة الفيزياء . وبما أن التوكيد الوحيد هنا يتعلق بامفردات المناسبة للوصف والتفسير ، وبدون استخدام اقوال ذات " نمط مادي " حول الانتولوجيا ، فأن التجريبية المنطقية تسمح لعلم النفس أن يتحرر من الميتافيزيقية ويكتسب الموضوعية المنهجية . وطبقاً لذلك فقد اصبح علم النفس على ما هو عليه عن طريق اعادة بناء العلاقة مع الفلسفة وليس مع الميتافيزيقية ، أي مع منطق النهجية ، أو فلسفة العلم .

(HATFIELD, 2002, 214 – 215)

وجهة النظر التطورية :

ترى النزعة التطورية في معناها العام ، أن الوجود الواقعي ، بمختلف اشكاله ، من العالم اللاعضوي ، الى العالم العضوي وايضاً عالم الفكر والمؤسسات ، يخضع لقانون واحد شامل ، هو قانون التطور ومن ثمّ يمكن تفسير الاشكال العليا من الواقع بالتطور الذي يلحق الاشكال الدنيا منه . ظهرت نظرية التطور اول الامر وبشكلها العلمي الحديث في ميدان البيولوجيا من قبل (داروين ١٨٠٩ – ١٨٨٢) ، ثم اكتسحت ميادين المعرفة المختلفة واصبحت لفترة من الزمن النظرية السائدة في العلوم الطبيعية والانسانية . وقد عمد بعض المفكرين ، من فلاسفة وعلماء ، الى تعميمها لتشمل جميع مراتب الوجود من المادة الى الفكر . هربرت سبنسر (١٨٢٠ – ١٩٠٣) من ابرز الذين جعلوا قانون التطور هو النظرية التي تفسر مختلف الظواهر الطبيعية والانسانية . انشأ (سبنسر) " فلسفة تركيبية " تجمع مختلف العلوم مستنداً في ذلك الى التطور بوصفه قانوناً يوحد كل العلوم في وحدة متسقة . حيث يشكل ذلك " مجال العلوم " الذي يتألف في نظره من العلوم المجردة (المنطق والرياضيات) ، والعلوم المجردة – المشخصة (الميكانيكا ، والكيمياء ، والفيزياء) ، والعلوم المشخصة (الفلك ، الجيولوجيا ، البيولوجيا وضمنها الاخلاق وعلم النفس وعلم الاجتماع) . (الجابري ، ١٩٩٨ ، ٣٠ – ٣١)

فيما كانت هناك تغيرات في البيولوجيا التطورية منذ كتاب (داروين) في عام (١٨٥٩) (اصل الانواع) سار علم النفس بطريقة مختلفة إذ تأثر فرويد بعد عقود ، بشكل واضح بنظرية داروين في التطور من خلال الانتقاء الطبيعي ، وكذلك فقد تأثر وليم جيمس هو الاخر بهذه النظرية . في عشرينات القرن العشرين تأثر علم النفس بالسلوكية المتطرفة بحيث سيطرت عليه لنصف قرن . إلا أن ما حدث بعد ذلك من اكتشافات تجريبية ساهم في انحسار تأثير هذا النوع من السلوكية ودفع للعودة الى النظرية التطورية . ففي اواخر ثمانينات القرن التاسع جاء فرويد بنظرية التحليل النفسي ذات الاساس الجنسي إذ يقع في صميم هذه النظرية قوله بنظام غرائزي يتضمن طائفتين اساسيتين من الغرائز . الفئة الاولى هي غرائز حفظ الذات . وهي تتضمن الحاجات الاساسية مثل الهواء والطعام والماء وهذه الغرائز خدمت وظيفة البقاء . والفئة الثانية من الغرائز الجنسية . أن هاتين الفئتين من الغرائز تتطابقان تماماً مع نظريتي دارون الكبيرتين في التطور . حيث تتطابق غرائز البقاء عند فرويد مع نظرية دارون في الانتقاء الطبيعي ، التي يشار اليها باعتبارها " انتقاء البقاء " بينما تتطابق نظرية فرويد في الغرائز الجنسية بشكل وثيق مع نظرية داروين في الانتقاء الجنسي . (بوس ، ٢٠٠٩ ، ٨٧ – ٩٢)

الايبستيمولوجيا التكوينية (بياجيه) :

يرى (جان بياجيه) أن الخطأ الذي ارتكبه الفلاسفة في موضوع المعرفة ، هو نظرهم الى المعرفة بوصفها حالة نهائية يجب أن تكون كاملة ، ولم ينظروا اليها بوصفها عملية تطور ونمو. حيث أنه يعتقد بأن الفلاسفة من " افلاطون " الى " كانت " بالبحث عن مباديء تقوم عليها المعرفة الانسانية وشمل هذا العلوم الطبيعية والانسانية . يقول (بياجيه) أنه مع تقدم العلوم لم يعد هناك من يقول بمثل هذه القضايا النهائية ومن المظاهر المهمة لتطور فلسفة العلوم هو الفصل بين الفلسفة والابيستيمولوجيا ، وكما يرى (بياجيه) فذلك بسبب أن العلماء اخذوا يهتمون بدراسة الجوانب التي تهم فلسفة العلوم . وضمن هذا الاتجاه درس علماء النفس وفي مقدمتهم (بياجيه) العلاقة بين المعرفة والنمو النفسي للمباديء والمفاهيم من قبيل (مبدأ الهوية وعدم التناقض والسببية ومفهوم العدد والمكان والزمن) وكان من بين نتائج هذه الدراسة ظهور نوع جديد من " نظرية المعرفة " وهو " الابيستيمولوجيا التكوينية " المهتمه بدراسة المعرفة من زاويه نفسيه علميه بوصفها عملية نمو وتطور . تعتمد الابيستيمولوجيا التكوينية التي اسسها بياجيه على علم النفس وخصوصاً علم نفس الطفل وذلك لمعرفة كيفية نمو المفاهيم . وتعتمد كذلك على المنطق . لذلك فإنها ذات منهج مزدوج : التحليل المنطقي ، والتحليل التاريخي – النقدي ، أو التكويني . (الجابري ، ١٩٩٨ ، ٣٧ – ٣٨)

علم النفس الماركسي :

هناك محاولات متعددة لاعداد علم نفس مؤسس على نظرية (كارل ماركس) ، من هذه المحاولات ما تمثل في مؤلفات (ليف سيمينو فيتش فيغو تسكي) و (اليكسييف نيوكوليف لونتيف) في روسيا ، وفي فرنسا ، مؤلفات (لوسيان سيف) .

ظهر علم النفس الماركسي كردة فعل للتيار الوضعي الامريكي (السلوكية) ويهدف لتشكيل علم نفس علمي ، ملتزم ونقدي ازاء المجتمع ومبني على المادية التاريخية ، أي طروحات (ماركس) الاساسية ، التي تفيد أن نمط انتاج الحياة المادية يشترط سير الحياة الاجتماعية والسياسية والروحية معاً . يعتبر علم النفس الماركسي الانسان موجوداً اجتماعياً على نحو اساس . انه ليس فرداً منعزلاً مجرداً . بل هو كما يقول (كارل ماكس) " مجموعة من العلاقات الاجتماعية " . لذلك يجب فهم هذه العلاقات لانها التعبير عن نمط الانتاج . ولا يجب أن ينعزل العالم عن مجتمعه التاريخي ويعتبره موضوعياً . كما ان موضوع الابيستيمولوجيا ليس الفرد ، بل المجتمع . والعلم جزء من الصيرورة الاجتماعية التي تعي نفسها بواسطته وهذا الوعي ، يسميه (هولز كامب) " اعادة انتاج مفاهيمي " أن انتقاد علم النفس الماركسي لعلم النفس " البرجوازي " ينصب على أن الاخير يغالي في الميل لاعتبار الانسان فرداً منعزلاً عن سياقه الاجتماعي : حيث يكون الانسان مدرك بصورة مجردة ، دون أن تأخذ التناقضات الاجتماعية بالحسبان ، في حين أن المشكلات الخاصة حتى التي تكون بين الاباء والاطفال ينبغي

النظر اليها في اطار الوضع الاجتماعي . ولقد شرعت مدرسة (كلوس هولز كامب) وهي مدرسة برلين التي تتبنى هذا المنظور لعلم النفس ، شرعت بحوث في الادراك والدافعية منظور اليها من وجهة النظر التاريخية المادية .(سيلامي ، ٢٠٠١ ، ١٨٢١ – ١٨٢٤)

الوجودية :

وهي مذهب فلسفي ينظر الى الوقائع الانسانية ، العيانية والفردية (الموجودات) ، عوضاً عن النظر الى معاني مجردة ، أو مفاهيم كلية (ماهيات) بعيدة او منقطعة عن الواقع . فالوجودية هي تفكير عياني في الوضع الانساني وهي رفض للفلسفة العقلانية المنهجية التي تسهب في البحث عن " الكينونه " . ومن اوائل الفلاسفة الوجوديين (سورين كير كوغار ١٧٧٠ – ١٨٥٥) الذي جعل مأساة الانسان الوجودية ، وذاتيته ، وتناقضاته ، وآلامه ، تقابل المذهب الموضوعي الكلي لدى (هيغل) لقد ادخل علماء نفس واطباء نفسيون مثل (بنسونجر) و (فكتور اميل فون غيباستيل ١٨٨٣ – ١٩٧٦) و (إروين و ستروس ١٨٩١ – ١٩٧٥) و (فكتور إ. فرانكل) مذهب الوجودية في علم النفس والعلاج النفسي حيث استبدلوا نظرية الحاجات والدوافع بالبحث في معنى الوجود وفي القيم الانسانية .(سيلامي ، ٢٠٠١ ، ٢٧٢٦ – ٢٧٢٧)

الاستنتاجات :

١ – كانت العلوم الانسانية قديماً من اقسام الفلسفة .

٢ – أهتم الفلاسفة ومنذ بدايات التفكير الفلسفي بمباحث علم النفس وبموضوعاته .

٣ – يسمى الفيلسوف اليوناني (ارسطو) أب علم النفس ، ويرى أن النفس هي ماهية الكائن الحي والتي تميزه عن بقية الاشياء والنفس هي ما نحيا ونحس ونفكر به .

٤ – بحثت الفلسفة اليونانية في القضايا النفسية كالمعرفة والفكر والاحساس والادراك .

٥ – غلب هيراقليطس منطق العقل على الحس .

٦ – انكساغواس يعتبر العقل لانهائي ويحكم جميع الكائنات الحية ويدرك جميع الاشياء ويضفي عليها النظام .

٧ – يرى ديمقريطس أن النفس مادية وذات دقائق وجواهر وهذه اوفر عدداً في مراكز الاحساس والفكر .

٨ – صنف افلاطون العمليات الذهنية بحيث ميز بين الذكاء والانفعالات النبيلة ، والشهوات الدنيا .

٩ – (توماس هوبز) من الفلاسفة الماديين في العصور الحديثة وتحدث عن سيكولوجيا المعرفة والارادة . حيث يقول أن مصدر المعرفة البشرية هو الاحساسات ، وعليه أي احساس هي ضغط موضوع خارجي على عضو الحس .

١٠ – يعتقد (ديكارت) أن للنفس تأثير على الجسد بفضل الارادة ، وان وظيفتها تشغيل الذاكرة . كما قام (ديكارت) بضم حقل رياضي سابق الى علم النفس وهو حقل البصريات حيث عمل عليه (بتولمي) في القرن الثاني وطوره (ابن الهيثم) في القرن الحادي عشر ويتضمن نظريات هندسية حول ادراك الحجم والمسافة .

١١ – (واطسن) واحد من العلماء السلوكيين الكبار . وكان ذا نزعة مادية في الفكر بحيث اعتقد أن التفسير النهائي للسلوك سيكون فيزيائياً وكيميائياً . (تولمان) عالم سلوكي بارز آخر نقل علم النفس الى مرحلة العلمية النقية من خلال تبني الفيزيائية المنهجية (المضادة للميتافيزيقية) .

١٢ – اثرت وجهة النظر التطورية المستمدة من نظرية (داروين) في التطور ، في علم النفس. ويظهر هذا التأثير في نظرية فرويد في التحليل النفسي .

١٣ – تعتمد الايبستيمولوجيا التكوينية التي اسسها (بياجيه) على علم النفس وخصوصاً علم نفس الطفل لغرض معرفة كيفية نمو المفاهيم .

١٤ – يعتبر علم النفس الماركسي الانسان موجوداً اجتماعياً . وليس فرداً منعزلاً مجرداً . بل هو كما يقول " كارل ماركس " " مجموعة من العلاقات الاجتماعية " .

١٥ – ادخل بعض علماء النفس والاطباء النفسيون مذهب الوجودية في علم النفس والعلاج النفسي ، حيث استبدلوا نظرية الحاجات والدوافع بالبحث في معنى الوجود والقيم الانسانية .

١٦ – يتضح من كل ما تقدم أن علم النفس يتكون من العديد من الاصول الفلسفية التي تظافرت على صياغته بوضعه العلمي الحالي .

التوصيات :

١ – ايلاء اهتمام اكبر للمنظورات الفلسفية التي تشكل اصولاً فلسفية لعلم النفس في الدراسات الاولية والعليا لزيادة فهم الاسس النظرية والفكرية التي يقوم عليها .

٢ – اضافة مادة الفلسفة في الدراسات العليا في اقسام علم النفس والتربية المختلفة . إذ أن ذلك يقدم تصوراً شاملاً لعلم النفس للمختصين في هذه المجالات تتضح في ضوءه نشأة علم النفس وتطوره واهدافه .

المقترحات :

١ – اجراء دراسة توضح علاقة علم النفس المعاصر بالفلسفة وما هي المنظورات الفلسفية المعاصرة المؤثرة في علم النفس وكيف يتأثر علم النفس بهذه المنظورات .

٢ – اجراء دراسة تمثل استشرافاً لمسيرة النظرية المستقبلية لعلم النفس ، وخطوط تطوره المستقبلية وطبيعة التأثيرات الفلسفية والفكرية المستقبلية المتوقعة في علم النفس .

Philosophical origins of psychology

Since the beginning of Philosophical thinking, philosophers had interested in matters that related to psychology. Greek philosophy had sought different psychological cases such as knowledge, thought, sense, and cognition. Plato classified cognitive processes and distinguished between intelligence, emotions, and desires. As Aristotle believed that soul is the essence of human beings that characterize it from other creatures. Regarding the European philosophy, Descartes linked the optics field to psychology that comprises theories about visual perception. Then, john Watson who interested in behaviorism, he believes that the interpretation of behavior will be materialistic. However, the evolutionary view had great effect on psychology that could be observed in Freud theory "desire system." formative Simeologia of Piaget relied on child psychology to know how to develop concepts. Marxist Psychology believed that the existence of human is fundamental.

المصادر العربية

١ – سيلامي ، نوربير . ٢٠٠١ . " المعجم الموسوعي في علم النفس – ٤ " . منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية – دمشق .

٢ – الزيادي ، صدام . ١٩٨٩ . " المدخل الى الفلسفة دراسة موجزه ومبسطه لتاريخ وتطور الفلسفة – الجزء الاول " . دار الحرية للطباعة – بغداد .

٣ – دافيدوف ، لندا لـ . ١٩٨٣ . " مدخل علم النفس " . الطبعة الرابعة . دار ماكجر وهيل للنشر .

٤ – زيعور ، محمد . ٢٠٠٦ . " آفاق علم النفس بين التحليل والقياس " . دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان .

٥ – زيعور ، محمد . ٢٠٠٧ . " فرضية الانسان في الفلسفة وعلم النفس (من العهد اليوناني الى العهد المعاصر) " . دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان .

٦ – فلسفة https://ar.Wikipedia.org/Wiki/ .

٧ – رايت ، وليم كلي . ترجمة محمود سيد احمد . ٢٠١٠ . " تاريخ الفلسفة الحديثة " . التنوير للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان .

٨ – الجابري ، محمد عابد . ١٩٩٨ . " مدخل الى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي " . مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت .

٩ – بوس ، لـ ديفيد . ٢٠٠٩ . ترجمة د. مصطفى حجازي . " علم النفس التطوري العلم الجديد للعقل " . قلمة . المركز الثقافي العربي .

١٠ – سيلامي ، نوربير . ٢٠٠١ . ترجمة وجيه اسعد . " المعجم الموسوعي في علم النفس – ٦ " . منشورات وزارة الثقافة – الجمهورية العربية السورية – دمشق .

١١ – النشار ، د. علي سامي . بلا . " ديمقريطس " . الهيئة المصرية العامة للكتاب – الاسكندرية .

١٢ – زيور ، د. مصطفى . ١٩٨٦ . " في النفس " . دار النهضة العربية – بيروت – لبنان .

١٣ – فخري ، ماجد . ١٩٧٧ . " ارسطو المعلم الاول " . الاهلية للنشر والتوزيع ، ط٢ – بيروت – لبنان .

١٤ – الاهواني ، د. احمد فؤاد . ١٩٧١ . دار المعارف بمصر ، ط٣ .

١٥ – النشار ، د. علي سامي . ١٩٦٤ . " نشأة الفكر الفلسفي عند اليونان " . منشأة المعارف – الاسكندرية .

المصادر الاجنبية

1 – Passer, M W. Ronald E. S. 2001. " PSYCHOLOGY Frontiers and Application ". McGraw – Hill Higher Education.

2 – HATFIELD, G, 2002. " PSYCHOLOGY , Philosophy, and Cognitive Science: Reflections on the History and Philosophy of Experimental Psychology ". Mind and Language, VOL. 17 NO. 3 June 2002.

3 – Wilson. R A, Frank C. K, 1999, " The MIT Encyclopedia of the Cognitive Sciences ". A Bradford Book, The MIT Press.